مجلة العلوم الإنسانية —— المجلد 33 عدد 3 -ديسمبر 2022، ص.ص.695-706

خطاب الصمت في النص السردي النسوي

"جزائريات قصر أمبواز حاشية الأمير عبد القادر" لآمال شعواطي أنموذجا

Silence speech in narrative feminist text

Case of Amel Chaouati book: The Algerians of Amboise Castle

تاريخ الاستلام : 2019/08/21 ؛ تاريخ القبول : 2022/07/07

* عبد القادر حميدة

جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر.

ملخص

يحاول هذا المقال ان يسائل الصمت داخل الخطاب عموما وداخل النص السردي النسوي خصوصا، متخذا من كتاب الباحثة الجزائرية آمال شعواطي الموسوم ب "جزائريات قصر أمبواز حاشية الأمير عبدالقادر" نموذجا، والكتاب عبارة عن رحلة بحثية تغوص زمنيا بعض احداث تلك السنوات الخمس التي قضاها الامير عبدالقادر وحاشيته تحت "الاقامة الجبرية" في قصر امبواز بفرنسا، وقد حاولت كاتبة هذا الكتاب استنطاق حالة ووضعية النساء والاطفال، وتبيين مدى المعاناة والحبس "المزدوج" الذي عشن فيه ومنه فقد شكل تغييب هذه الفترة صمتا، وشكل تغييب النساء صمتا اخر ومنه فان هذا المقال ركز على طريقة امال شعواطي في محاولة اعطائها اصواتا متعددة لهذا الصمت. وقد تمكنت من ذلك وتوصلت الى مساءلة مناطق بكر، لم تكن قبلا محلا للاستفهام، ونجحت في لفت الانتباه لصمت النساء وإعطائهن صوتا، لا ليخدمن تاريخ الرجل، بل ليقلن ما لم يقله الرجل، وليثبتن وجودهن.

انها مقاربة تتعمد تداخل التخصصات؛ لكي تصل الى ابراز هدفها وهو مساءلة خطاب الصمت في الفترة المهمة من تاريخ الجزائر.

الكلمات المفتاحية خطاب الصمت، قصر امبواز، الجزائريات، الامير عبد القادر.

Abstract

This article attempts to question the silence in the speech in general and in the feminist narrative text in particular, from the book of the Algerian researcher Amal Chaouati entitled "The Algerian Amboise Castle, following the Emir Abdelkader" . This book is a quest for research retracing the history of these five years spent by Emir Abdelkader and his followers. Under house arrest at Amboise Castle, France, an attempt to question the situation of women and children, and to give voice to the silence of women and their stories.

It is a multi-disciplinary approach, which attempts to question the theme of silence in an important period in the history of Algeria.

Keywords: silence speech; Amboise Castle; The Algerian women; Emir Abdelkader.

Résumé

Cet article tente de remettre en question le silence dans le discours en général et dans le texte féministe narratif en particulier, à partir du livre de la chercheuse algérienne Amal Chaouati intitulé "Les Algériennes du château d'Amboise, suite de l'émir Abdelkader". Ce livre est une quête de recherche retraçant l'histoire de ces cinq années passées par l'emir Abdelkader et sa suite. En résidence surveillée au château d'Amboise, en France, une tentative de remise en question de la situation des femmes et des enfants, et de donner des voix au silence des femmes et leurs histoire.

C'est une approche multi-disciplinaire, qui tente de questionner le thème du silence dans une période importante dans l'histoire de l'Algérie.

Mots clés: Discours de silence; Château d'Amboise; Les Algériennes; L'émir Abdelkader.

* Corresponding author, e-mail: kader9@hotmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2022.

I - مقدمة

للنص السردي بما هو خطاب وجوه عدة، ويحوي أصواتا مسموعة وأخرى مهموسة، وأخرى تحتاج لمن يستنطقها بما هي صمت كامن داخل الخطاب، لا يتجلى لأول وهلة، ولا ينفتح على التأويل في المستوى الطافي على السطح، فصمت المعنى الكامن، صمت متعدد يفجر الأنساق حين يتجاوزها، والأمر يكون أكثر حدة حينما يتعلق بأنساق ممنوعة ومسكوت عنها، حينها وكما يقول ميشيل فوكو Michel Foucault: "لا يكون في النهاية إلا الحضور القمعي لما لا يقوله، وهذا اللا مقول سيغدو عبارة عن تجويف يلغم من الداخل كل ما يقال"[1]، وهذا التلغيم سيغدو القناة التي ستنفتح من خلالها وعلى إثرها القراءات القادمة والمأمولة، "إنّه النّشاط التّعاضدي الّذي يعمل على حثّ القارئ أو المرسل إليه على أن يستمدّ من النصّ ما لا يقوله بل ما يصادر عليه مسبقا وما يعد به ويتضمّنه أو يضمره"[2].

فالصمت داخل الخطاب قد يكون رفضا، كما قد يكون قبولا، كما قد يكون موقفا، قد يكون تكتما، وقد يكون إعلانا، قد يكون حقيقة، كما قد يكون وهما، فللصمت حضور متعدد في الأنساق الثقافية المختلفة، سواء داخل مجتمع يحاول نص أن يحكيه، أو داخل حكاية تحاول أن تحكي المجتمع نصا، ومنه فإن محاولتنا البحثية هذه ما هي إلا "محاولة لإثارة (المضمر) في بنية الخطاب من أجل كشفه وتعريته وتفكيكه، ولذلك ينحل إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية تفضي محاولة الإجابة على كل منها إلى اكتشاف جانب من جوانب الخطاب"[3]، إنه استنطاق للصمت الكامن والمضمر في زوايا كتاب الباحثة آمال شعواطي[4] المميز، الموسوم بـ"جزائريات قصر أمبواز حاشية الأمير عبد القادر" Les Algériennes du Château d'Amboise suite de l'emir Abd el-kader، كتاب أثار العديد من ردود الفعل كونه سلط الأضواء على منطقة جد معتمة من تاريخ الأمير عبدالقادر، واستنطق صمت نساء رافقنه في محنته لكونه صمت جعل هؤلاء النسوة يقبعن في منطقة اللامبالاة، وينحدرن إلى النسيان.

وللوصول إلى استنطاق هذه البنيات المضمرة في النص فإننا اتخذنا من حفريات "ميشال فوكو" ومخيال "جيلبير دوران" والمبادئ اللسانية عند "دي سوسير" مناهج وأدوات تنقيب نطمح من خلال استعمالها إلى الوصول بهذا البحث إلى غاياته.

II- جزائريات القصر: صمت الواقع، صخب المخيال:

قسمت آمال شعواطي كتابها[5] إلى فصول متباينة الطول ووضعت لكل فصل عنوانا يحاول أن يلخص في كلمة مثل "الدمية" أو في كلمتين مثل "صمت الوثائق" أو في جملة مثل "الخطوات الأولى في الأرشيف" أحداث ذلك الفصل، وبلغ عدد تلك الفصول

---

[1] M. Foucault: *L'archéologie du savoir*, Gallimard, 1969, p39.

[2] أمبرتو إيكو: **التّأويل بين السّيميائيّات والتّفكيكيّة**، تر: سعيد بن كراد، ط1، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2000ص 23.

[3] نصر حامد أبوزيد: **الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص56.

[4] آمال شعواطي باحثة وكاتبة جزائرية من مواليد عام 1971، متخصصة في علم النفس، ولها اهتمامات بحثية متعددة، خصوصا فيما يتعلق بالكاتبة الجزائرية الراحلة "آسيا جبار"، التي قادها اهتمامها بها وحبها لها ككاتبة وكامرأة متميزة إلى إنشاء نادي للقراءة عبارة عن جمعية ثقافية بباريس، هي رئيسته.

[5] الكتاب ما يزال لحد كتابة هذه السطور يقرأ بلغته الأصلية، ولم يترجم إلى اللغة العربية، وكل المقاطع الموجودة في هذا المقال، بما فيها "الأصوات الثلاثة الموجودة في الملحق، هي ترجمات شخصية للباحث كاتب هذا المقال.

ستة وعشرين فصلا، تسرد من خلالها مختلف مراحل بحثها، كيف عثرت على هذه الفكرة أو تلك، كيف صادفت هذه المعلومة أو هذا الكتاب، إضافة إلى سردها لعمل مضن بين وثائق الأرشيف المختلفة[6]، فمثلا هي تحكي في الفصل الأول "الموعد مع التاريخ" انطلاقة رحلتها ذات صباح متجهة نحو "قصر أمبواز" رفقة ابنتها "سمية" وفي الطريق التحقت بها صديقتها "آني" والموعد مع التاريخ هنا ليس شيئا آخر سوى اكتشافها لمقبرة يرقد فيها 25 شخصا ممن رافقوا الأمير بعد استسلامه وجلهم من الأطفال والنساء، إنها الصدمة والشرارة التي ستنبت على عتبتها أسئلة عدة، تتحول محاولة الإجابة عنها إلى رحلة أخرى، هي رحلة البحث عن الحكاية، حكاية هؤلاء النسوة والأطفال ومحاولة استنطاق صمتهم، ورحلة الاستفهام عن السر في صمت التاريخ إزاء صفحة من تاريخ الأمير عبدالقادر مدتها حوالي أربع سنوات (1848-1852) ثم يأتي الفصل الثاني الذي أخذ عنوان "القراءة"، حاولت أن تكشف فيه آمال عن السبب الرئيسي الكامن وراء زيارتها لقصر أمبواز، كأنه فلاش باك، وقد كانت قراءتها لكتاب "عبد القادر الشهم"[7] هي التي أججت فيها رغبة زيارة هذا القصر الذي مكث فيه الأمير تحت الإقامة الجبرية، تتخلل هذه الفصول أحيانا عملية استرجاع لذكريات مختلفة سواء تعلق الأمر بها هي ككاتبة للبحث، أو تعلق بإحدى السيدات اللواتي التقتهن خلال هذا المشوار، فمثلا تستحضر ذكريات جيل يتنفس الصمت، ويعترف بصمت، ويتألم في صمت، جيل والدها، ففي إحدى ذكريات ذلك الوالد تقول آمال: "كان يستقبل جهاز التلفاز ليشاهد حصة حول حرب الجزائر. يقوم بعد نهاية الشريط ويغادر القاعة صامتا، أو يعود ليدفن وجهه في جريدته دون أن ينبس ببنت شفة."[8]، أو تحكي عن ذكريات صديقتها "آلين" مثلا، ويبلغ حضور "المخيال" Imaginaire ذروته حين تضع الكاتبة نفسها، وتسخر قوتها الإبداعية لاستنطاق صمت النساء، على لسانها هي، ووفق حالتها الراهنة (Synchronique) ووفق ما توصلت إليه من معلومات حولهن (Diachronique)، وكأنها تشكل لهن هوية Idendité، هوية لا يمكنها أن تتجاوز المعطى السياقي Contextuel,

ورغم هذا نلاحظ أن الباحثة آمال شعواطي أصرت على طابع واقعية بحثها، دفعا لظن القارئ أو توهمه أن هذا الواقع الذي تتكلم عنه الباحثة هو خيالي، وليس واقعا تاريخيا، ولذا فإنها اختارت "واقعية" الكتابة البحثية في عملها هذا وابتعدت عن "الشكل الروائي" أي أن تكتبها رواية تاريخية مثلما فعلت ذلك قبلها "آسيا جبار" Assia Djebar في روايتها "بعيدا عن المدينة" Loin de Médine، فرسالة آمال شعواطي الأولى والأساسية في كتابها هذا هي التأكيد على واقعية هذه القبور وحقيقيتها أي ليست خيالا، وأن صمت التاريخ صمت حقيقي، لا دور للخيال فيه، لكن السؤال الذي يطرح نفسه، إلى أي مدى يمكننا أن نتخلص من "المخيال" كما يرتضيه جيلبير دوران Gilbert Durant الذي انتبه إلى مسألة أن المخيال الاجتماعي هي مسألة من صنع واقع اجتماعي وثقافي، ولا يمكننا عزله عن الواقع مهما حاولنا ذلك، فهو ليس "خيالا" محضا، بل "مخيالا" ينبني عن طريق تفاعل الخيال مع الرمز، فنحن في روايتنا لحادثة تاريخية نمزج بين الحدث والمخيال، الذي يبني لنا صورة ما حدث حتى

[6]تظل هذه الفترة، أي فترة سجن الأمير عبدالقادر أسيرة للأرشيف الفرنسي وحده، فنحن لا نعرف باحثا، تحدث عنها من زاوية أخرى، مثلا وثائق الأمير بعد ذلك في سوريا، هل كتب عنها؟ هل حكاها لأحد وقام هذا الأخير بتدوينها على أي شكل كان؟ سواء تعلق الأمر بمخطوط يوميات أو كتاب تاريخ، أو حتى رواية إبداعية، إنها فترة غامضة تاريخيا ومعتمة، ومن هنا يكتسي كتاب آمال شعواطي أهميته.

[7]B. Etienne. F. Pouillon. *Abd el-kader, le magnanime*. Gallimard/lma, 2003.

[8]Amel Chaouati: Op, cit, p 20.

نستطيع أن نتمثله Représenter، وهذا المفهوم والفهم لـ"المخيال" كما ارتضاه جيلبير دوران يقترب جدا مما قاله ك. كاستورياديس Cornélius Castoriadis في مؤلفه L'institution imaginaire de la société أن "ما أطلق عليه منذ سنة 1964 المخيال الاجتماعي -المصطلح، الذي استخدم بلا رَوِية- وبصورة عامة ما أسميه المخيال، ليست له أية علاقة بالتصورات التي تتناقل عادة تحت هذا العنوان. بخاصة، هذا ليست له أية علاقة مع ما يقدم لنا كمخيال من طرف الذي ما هو في الحقيقة إلاَّ صورة Le - spéculaire- بعض تيارات التحليل النفسي: المرآوي منعكسة، أو بعبارة أخرى انعكاس. ومن يتكلم عن المخيال قاصداً به المرآوي، الانعكاس أو الخيالي، فهو يقوم وبدون أن يشعر، بتكرار تلك الأخطاء التي أدت بالكثير إلى طرق مسدودة. المخيال الذي أتكلم عنه ليس صورة لشيء أو [لموضوع ما]، المخيال هو عملية خلق مستمرة وأساساً غير محدودة (اجتماعية، تاريخية ونفسية) لوجوه/ أشكال/ صور التي من خلالها فقط يمكن أنه يتعلق الأمر بشيء ما"[9].

وهنا نذكر بأن كتاب "جزائريات قصر أمبواز"، يعج بالرموز، التي فرضتها فضاءات الصمت Espaces de silence، وعوالم التهميش، فاستنطاق صمت القبور، لا بد له من مخيال سوسيو-تاريخي يساهم في بناء واقعه المتكامل. ولعل هذا المتخيل يبلغ ذروته حين تشرع الكاتبة/الباحثة في التحدث بضمير المتكلم على لسان ثلاثة نساء اختارتهن بدقة[10] صوتان مجهولا الهوية، كأنه صوت أي واحدة منهن، كأنه كلام قد تقوله أي واحدة منهن، إنهن فعلا مجهولات الاسم، لا نعرفهن، ولا تقول الشواهد عنهن شيئا باستثناء البعض منهن، هذا البعض هو الذي مثله صوت "خيرة بنت المكي". تقول آمال: "تحاصرني أصوات هؤلاء الجزائريات ولا تغادرني أبدا، إنهن تنتظرن التحرر من سجن التاريخ، وبالنسبة لبعضهن من الموت غير المكتمل."[11]، إذ أنها وبينما كانت بصدد فرز رسائل عثرت عليها في الأرشيف، ووسط قاعة يسودها الصمت ورهبة التاريخ، "إذ بأصوات نسائية واضحة ومسموعة تقتحم المكان فجأة، هذه الأصوات ترن من خلف القبور في هذا العالم البسيط والصامت"[12]، إنه الصمت الذي سيتكلم في هذه الأصوات الثلاثة، فما الذي قاله يا ترى؟.

III- ثلاثة أصوات للصمت، للموت غير المكتمل:

على مدار ثلاثة فصول متتالية، متراوحة الطول، الأول على مدار ثلاثة صفحات من الكتاب، من الصفحة 109 إلى الصفحة 111، والثاني على مدار خمسة صفحات من الصفحة 113 إلى الصفحة 117، أما الثالث والأخير فقد جاء على مدار خمسة صفحات أيضا، من الصفحة 119 إلى الصفحة 123، إنه الصمت هو الذي سيتكلم على مدار هذه الصفحات تحت مسميات: صوت أول Première Voix، صوت ثان Deuxième Voix، صوت ثالث Troisième Voix.

صوت أول على لسان امرأة مجهولة الهوية، قد تكون أي واحدة منهن، هن اللائي يرقدن الآن في مقبرة، داخل قصر أمبواز، مقبرة قام بتنسيقها وفق طابع يحاول أن يستلهم الحضارة العربية الإسلامية مع لمسة صوفية الفنان الجزائري رشيد قريشي ثم

---

[9]Castoriadis .Cornélius: *L'institution imaginaire de la société*, éditions du Seuil, Paris, 1975, P 7.

[10]الأصوات الثلاثة ستكون ملحقة بمقالنا هذا، وهي أول ترجمة لها من اللغة الفرنسية إلى العربية، اجتهدنا في الوفاء لقصد الكاتبة معنى ومبنى.

[11]A. Chaouati: op, cit, p 36.

[12]Op, cit, p 36.

سماها "حديقة المشرق"[13]، ها هي آمال تعطي لهذا الصوت المجهول صوتا وذلك نزولا عند رغبتهن وإلحاحهن، تحكي هذه المرأة بضمير المتكلم ظروف وصولهم ووصولهن "كمحتجزين ومحتجزات" إلى قصر أمبواز ليلا في ثالث أيام عيد الأضحى، ينال منهم جميعا التعب، قادمين من مدينة "بو" Pau، وسط حراسة مشددة، ولعل أول سر يفشيه هذا الصوت في وجه "صمت التاريخ"، هو تعدد زوجات الأمير عبد القادر، وهو الذي تحكي عنه كتب التاريخ الرسمية أن له زوجة واحدة، حيث يقول هذا الصوت النسوي: "عبد القادر وزوجاته الثلاثة، ووالدته والمرضعة مهرة، تم اسكانهم في الشقة الملكية"[14]، الصمت الثاني الذي يبوح به هذا الصوت هو أنهم كانوا مسجونين فعلا، وغير مسموح لهن بمغادرة القصر ولا للرجال أيضا، إذن فقد تمت خديعة الأمير، وهؤلاء النسوة اللواتي استسلم من أجل حمايتهن وحماية مستقبل أولادهن ها هن يقبعن في سجن مضاعف، سجن "مزدوج'، سجن البلاد الغريبة، غريبة اللغة والدين والعادات والتقاليد، وسجن القصر، وسجن العادات والتقاليد التي لا تسمح لهن بمغادرة تلك الغرف إلا متلفعات داخل أغطية تستر أجسادهن بالكامل، وغير مسموح لهن بالخروج إلا إلى تلك الحديقة الصغيرة، وها هو الصمت يتكلم قائلا: "طوال مدة سجننا لم يكن لنا الحق في الخروج، وحدها قطعة ارض صغيرة من الحديقة خصصت لنا لنزهاتنا لكن الرجال كانوا يشغلونها دائما، الأمر الذي يحول بيننا نحن النساء وبين الخروج، لقد بقينا محجوزات في الداخل مع الأطفال الصغار الذي كانوا يختبئون معنا تحت الأغطية"[15].

الأمر الآخر الذي أطلعنا عليه هذا الصوت الذي تجلى من خلال الصمت، أنهن لم يكن في استطاعتهن تلقي فحص الطبيب الذي عينته الإدارة الفرنسية حتى يهتم بشؤون "المساجين"، الرجال والأطفال وحدهم من كان لهم ذلك الحق، أما النساء فلم يكن باستطاعتهن الانكشاف على الطبيب لكونه رجلا ولكونه غريبا، ولذا بقين نهبا لأمراضهن تتآكلهن وتهوي بهن إلى القبر تدريجيا، ثم أن هذا الصوت يكشف القناع عن الحياة الاجتماعية داخل هذا "المجتمع المغلق" والذي زاده الحبس مآسي أخرى، ورغم ذلك فهناك مناسبات للفرح كالخطوبات والزيجات التي تمت داخل هذا القصر، وأيضا بعض حفلات الختان، وإحياء بعض المناسبات الدينية كالأعياد مثلا.

إن إصرار الإنسان على الفرح حتى داخل الظرف المأساوي، ينعكس تماما على هذا المجتمع الصغير، الذي تمسك بفرحه رغم كل شيء، ولذا يمكننا القول –مع باشلار طبعا- أن المخيلة أداة تعويج لأنها تحررنا من الصور الأولى[16].

بصوت خيرة زوجة الأخ الأكبر للأمير، ومن داخل قبرها تحكي حكايتها وحكاية هذا النفي القسري، وذلك تحت عنوان (صوت ثان): "اسمي خيرة بنت سيدي المكي، تبعت زوجي السعيد، الأخ الأكبر للأمير عبد القادر على الرغم مني"[17]، بهذا الصوت تنكشف لنا زوايا أخرى في هذا الحجز، فها هي تحكي عن الزهرة الابنة الكبرى للأمير عبد القادر من زوجته خيرة، والتي "خانتها هشاشتها الانفعالية، غزتها شياطين الطفولة التي تتأجج في المناسبات العنيفة, لكن من بإمكانه أن يفعل لها شيئا؟ كل واحد

[13]للروائية الفرنسية مارتين لوكوز أيضا رواية، تحمل نفس العنوان "Jardin d'orient" وفضاؤها يمتح من نفس فضاء قصر أمبواز.

[14]Op, Cit, p 109.

[15]Op, Cit, p 110.

[16]للتعمق في هذا المعنى يستحسن الاطلاع على: Gaston Bachelard: *L'air et les songes*, José Corti, Paris, 1990, p07.

[17]A. Chaouati: Op, cit, p 113.

كان مشغولا بدوامته"[18]. وعلى العكس من الصوت الأول الذي يبدأ الحكي من المكان الأخير، فإن هذا الصوت الثاني صوت خيرة بنت المكي يبدأ الرحلة منذ البداية منذ صعود الباخرة في ميناء وهران، ثم الوصول إلى طولون Tolon ثم برج لامالغ Lamalgue ثم وصف دقيق لمعاناة النساء والأطفال خلال محطات الجحيم هذه، ثم أول فاجعة وهي فقد طفلين في قصر "بو"، تم دفنهما في مقبرة البلدية، ويتعلق الأمر بـ"علي محمد" ابن صاحبة الصوت "خيرة بنت المكي" وطفل آخر لم يذكر الصوت اسمه ولا هويته، هذا الصوت يميط اللثام على أن الطفلين المسلمين دفنا في مقبرة مسيحية، وسط رفض صامت من طرف الجهتين، "لقد حكوا لي أن الموكب الجنائزي الذي كان محروسا بعشرات الفرسان وبحضور رئيس البلدية اجتاز المدينة ليصل الى المقبرة, هذا الحدث خلق تعاطفا بين السكان الذين تأثروا بالمشهد بينما آخرون رفضوا حضورنا في مقبرتهم"[19]. هذا الصوت سيضمر حكاية أخرى، بما أن الأمر متعلق بـ"مقبرة بلدية" تشكلها قبور مسيحية، وهذا الصوت إذ يشير إلى إشكالية دفن المسلمين إلى جانب المسيحيين، إشارة استنكارية من هؤلاء وأولئك، فإنه لا يقول المضمر هنا صراحة، بل إننا سنعثر عليه بعد ذلك، بعيد عن الأصوات الثلاثة، ستحوم الباحثة حول المضمر في حكاية قبر غريب، وظننا أنها لم تكشف عنه هنا وذلك لبعده عن منطقة المخيال والخيال، حتى لا يشك في وجوده، إنه قبر رياحي التي تنام في مقبرة بلدية أمبواز، "أقرأ في سجل الحالة المدنية ما يلي[20]:

"الاثنين 13 أوت 1843 خيرة بنت حمود ماري شارلوت أوجيتي، عازبة 20 سنة، خيرة بنت حمود ماري شارلوت أوجيتي عربية ولدت في الجزائر، جانفي 1828 شارع باربا‌روس، بنت المرحوم حمود رياحي وموني بنت عمر، متزوجة ماتت في دار صحة، ساحة سانت دونيس".

لا أحد يعرف حكاية هذه المرأة، هل كانت فعلا زوجة للأمير؟ وهل فعلا هي مسيحية كما يدل على ذلك اسمها الذي أعطي لها بعد التعميد، تشير الباحثة آمال شعواطي قائلة: في هذا اليوم اكتشفت رسالة رسمية تعلن إعادة ترميم قبر (ماري زوجة عبد القادر) في 1990 باجمالي مبلغ 9000 أورو"[21]. ولعل شاهد قبرها وحده يحكي حكايات عدة لمن أراد أن يستنطقه:

الحمد لله

توفيت خيرة بنت ريحي سنة 1849[22].

ماري رياحي

المولودة في الجزائر يوم 13 أوت 1827

المعمدة في الجزائر يوم 26 فيفري 1848

المتوفاة في أمبواز يوم 13 أوت 1849

صلوا لأجلها

[18]Op, cit, p 113.
[19]Op, Cit, p 116.
[20]Op. Cit, p 166.
[21]Op, Cit, p 166.

[22]هذه الجملة بالعربية في الأصل (المترجم).

امتياز أبدي[23]

ولعل ما يشد الانتباه في هذا الصوت الثاني، هو جملة النهاية، التي هي استفهام مفجع، يضعنا وجها لوجه أمام حقيقة صامتة، حقيقة هؤلاء المنسيات هناك، اللائي يطللن على واقع أحفادهن من وراء حجاب تاريخ مسكوت عنه، ومهمش، وممزق من الصفحات لأنه غير مفكر فيه، "من يتذكر بعد اليوم بأن في عمق حديقة قصر أمبواز، على بعد بضعة أقدام تحت الأرض يوجد تابوت ينام فيه جسد شابة جزائرية ماتت في سن اثنين وعشرين سنة؟"[24].

وفي النهاية يأتي الصوت الثالث، ليتحدث أساسا عن حالة المحتجزين الصحية التي ظلت تتدهور يوما بعد يوم، وخاصة في تلك السنة "لقد فقدنا العديد من الرفقاء في 1849م. وكأن مآسي حياة بأكملها اجتمعت هذه السنة"[25]، إنها سنة الفقد بامتياز وسنة الحزن، ولذا أعطتها الباحثة صوتا، كي نتلمس الأحزان والآلام التي عانى منها المحتجزون، وخاصة النساء، رمضان عامها صادف شهر جويلية الحار، ويحكي هذا الصوت كيف كانت النساء تصمن رغم المرض والحر وظروف الحجز، كما يحكي مشاكل اجتماعية لا تخلو منها مثل هذه "المجتمعات الصغيرة" فها هو يحكي هذه الحكاية: "ذات صباح، رأينا واحدة منا تدخل جريا إلى مكتب المدير. لقد التصقت بذراعه راجية منه عدم إرجاعها إلى سيدها الذي لم يكن شخصا آخر غير الأخ الأصغر لعبد القادر بن محي الدين. لقد عاملها معاملة سيئة في الوقت الذي كانت تعاني منه من المرض. بينما كان سيدها يعتقد أنها كانت تدعي ذلك"[26].

IV–الخاتمة:

ميزة هذا النوع من البحث أنه يفتح آفاقا لاستنطاق الصمت في الخطاب، وخاصة إذا تعلق الأمر بالخطاب المؤنث، هنا يتعمق الحفر لأن الصمت في تاريخ النساء عميق، يحتاج لوعي خاص، وعي يملك قدرة ما على تحسس مستويات الخطاب الواقعية والمتخيلة، "فداخل حقل المتخيل، يغدو المعنى المجازي وحده المتوفر على دلالة"[27]، وقد تمكنت الباحثة من ذلك باقتدار، حيث انها توصلت الى مساءلة مناطق بكر، لم تكن قبلا محلا للاستفهام، وهذا ما تمكن مقالنا من الكشف عنه كنتيجة اولى وخاصة إذا علمنا ان الأمر متعلق بشخصيات محورية، وكاريزمية، أثرت في تاريخ الانسانية مثل شخصية الامير عبدالقادر الجزائري، فإن التساؤل حولها محفوف بالمخاطر، وهنا رأينا أن "نساء الامير" قريبات وبعيدات حينما تحدثن فإنهن أضان لنا زوايا في تاريخه وسيرته، وأعدن للذاكرة الإنسانية مرحلة مهمة تم محوها سهوا أو عمدا، وبالتالي فخطاب الصمت جدير بالاهتمام والبحث، فتكون الخلاصة الرئيسية تبعا لذلك هي الانتباه لصمت النساء وإعطائهن صوتا، لا ليخدمن تاريخ الرجل، بل ليقلن ما لم يقله الرجل، وليثبتن وجودهن، كما في هذا الكتاب نموذج هذا المقال فالنساء هنا هن عديدات تبعن الرجال غداة تحويل وجهة الأمير غدرا، فمنهن من نجون وتبعنه إلى أرض الشام بعد ذلك، ومنهن من توفين هناك وبقين داخل صمت مقبرة، بلا أسماء

[23] A. Chaouati: Op, Cit, p 167.
[24] Op, Cit, p117.
[25] OP, Cit ,p 119.
[26] Op, Cit, p 121-122.
[27] Gilbert Durand: *Les structures anthropologiques de l'imaginaire*, Dunod, 11ème édition, Paris, 1992, p24.

واضحة، وبلا احتفاء، وبلا أصوات، وحدها آمال شعواطي منحتهن مساحة يبحن من خلالها، ويتواصلن عن طريقها مع أحفادهن وأبناء وطنهن والإنسانية جمعاء.

د.عبدالقادر حميدة
جامعة الجلفة/ الجزائر

الملحق:

صوت أول

كان وصولنا الى أمبواز يوم الخميس مساء, وقد صادف ذلك ثالث أيام عيد الأضحى. ومثل كل تنقلاتنا السابقة فقد وصلنا ليلا، متعبين، نكاد نموت من شدة البرد، لقد تم اقتيادنا بالعربة الى غاية القصر، الذي كان غارقا في الظلمة والصمت, لم يكن هناك أي حضور آخر, غير الحضور المهول للعساكر, الذين كانوا أكثر من مائتي عسكري من أجل حراسة بضعة أشخاص بلا سلاح، نساء وأطفال ومسنين سيتبخرون بمجرد تجاوز عتبة القصر

لقد نظموا توزيعنا، عبد القادر وزوجاته الثلاثة, ووالدته والمرضعة مهرة، تم اسكانهم في الشقة الملكية، كان لديهم أربعة غرف, وغرفتا انتظار, ممر وشرفة, الزوجة الأولى خيرة تسكن رفقة أولادها غرفة تتصل بغرفة زوجها، و بغرفة والدته، وزوجتيه الأخريين. في جناح آخر من المبنى تم إسكان أخوي عبد القادر، الخليفة وصهر هذا الأخير بن التهمي يشتغل الطابق الأول, في الثاني تم استقر المعلم والمدرسة.

كل واحد منا انكب على افراغ المحلات من الاشياء التي لا تتناسب مع استعمالاتنا , بعد ذلك قمنا بفرش سجاجيد وبطانيات

طوال كل مدة سجننا لم يكن لنا الحق في الخروج, وحدها قطعة ارض صغيرة من الحديقة خصصت لنا لنزهاتنا لكن الرجال كانوا يشغلونها دائما ,الامر الذي يحول بيننا نحن النساء وبين الخروج 'لقد بقينا محجوزين في الداخل مع الاطفال الصغار الذي كانوا يختبئون معنا تحت الاغطية

خلال الست أشهر الاولى , كنا معزولين عن اي اتصال لم لما يبلغنا اي خبر عن البلد, لقد علمنا فيها فيما بعد ان نفيسة بئت باشا, ابنة اخر دايات الجزائر ,جاءت الى القصر في النهاية 1848م لكنهم رفضوا لها حق الزيارة بحجة اننا كنا مريضات, امرأتان تتحدثان العربية وبالعكس من الرجال لم بكن لدينا مترجم في متناولنا عرقلتنا كانت أكبر.

السلطات عينت طبيبا في المدينة, لكن واجهته صعوبات كبيرة في فحص النساء, لم نكن نستطيع الانكشاف له كثيرا منا هن اللواتي, رفضن الذهاب الى الطبيب وتناول الادوية.

لمدة طويلة طالبنا بثياب لائقة, وأخيرا اعطوا ملحفتين لكل واحدة منا, وأيضا قطع قماش، واما الرجال فتحصلوا على ثلاثة أقمصة وعباءتين, كانت هذه هي كل حصتنا السنوية.

حياتنا في القصر كانت تنتظم حول الحياة الدينية الشديدة, الانسان يتوجه بكليته الى الله حينما يفقد الايمان بمثيله, كنا نحيي كل الطقوس الدينية, كنا غالبا ما نعاود وضوءنا مرات عديدة لكي تتطهر اجسادنا وارواحنا. خلال شهر رمضان ننغمس في صلوات طويلة الى غاية الصباح, مدير القصر مكلف بمراقبتنا, كان عليه ان يعمل اكثر خلال هذه المرحلة. (ريح من الجنون) كانت تهب في كل مرة داخل القصر، وتنفجر مشادات حادة, كنا عديدات نحن اللواتي نقع في المرض الشديد.

أثناء حبسنا احيينا العديد من حفلات الخطبة, وعرس زواج واحد دام سبعة ايام وسبع ليال، هكذا يقظي تقليدنا، واستقبلنا ولادات عديدة, تتخللها أحيانا وفاة طفل,

الموت صار سهمنا. كل أم تنتظر دورها عاجزة، لقد تركنا خلفنا تسعة عشر طفلا, باستثناء طفل واحد, كل البقية ولدوا خلال اعتقالنا، منذ ولادتهم كان الأطفال في حالة يرثى لها: نحفاء، مصابين بالكساح، وسيئي البنية. الولادات كانت جد خطيرة على صحة الأمهات, كثيرات منا لم يكن بإمكانهن إرضاع أطفالهن, لهذا كانوا يرضعون بالرضاعة، ولإنفاذ البعض وأمام يأس الأمهات كن يسندنهم لمرضعات امبوازيات, وكن أمام خيارين إما القبول بذلك أوترك أولادهن عرضة للموت.

لم نكن نتصور أبدا أن أبناءنا سيولدون في فرنسا ويكون لهم إخوة واخوات من حليب فرنسي.

صوت ثان

اسمي خيرة بنت سيدي المكي، تبعت زوجي السعيد, الأخ الأكبر للأمير عبد القادر على الرغم مني, عدت إلى عائلتي بعيون محمرة على أمل أن أجد لديهم حماية ما, لكنهم أجابوني بأن على المرأة أن تتبع زوجها، زوجي الذي كان يفعل كل شيء ليتجنبني، والذي كان يعرف أنني أبكي طوال الليل بلا انقطاع.

كيف لي أن أصف لكم هلعنا الكبير عندما أبصرنا ذاك الوحش الذي يدنو من ميناء وهران؟ لقد قيل لنا أنه يجب علينا الصعود عليه، الزهرة البنت الكبرى لعبد القادر ولخيرة, بالكاد تبلغ من العمر ستة عشرة سنة، لكنها مجروحة بالحياة منذ طفولتها الأولى, بقيت تحت حمايتنا, لقد رافقتنا في رحيلنا القسري، خانتها هشاشتها الانفعالية, غزتها شياطين الطفولة التي تتأجج في المناسبات العنيفة, لكن من بإمكانه أن يفعل لها شيئا؟ كل واحد كان مشغولا بدوامته.

أخبرني سعيد أن علينا المرور ببلاد العدو أين أخوه والنساء ينتظرون إرسالهم الى أرض الإسلام.

لدى وصولنا الى طولون, أمرونا بالنزول على الرصيف سمعت صرخة تخترق صمت الليل, نخن النساء كنا عن قرب متلفعات بخمرنا بقينا ملتصقات ونسينا صفوفنا وخصوماتنا كان يكفي ان اضع قدما على تلك الارض لأحس ان الحياة بداخلي تتلاشى, من وراء خماري رأيت العساكر مصطفين, المتصلبين داخل زيهم العسكري بالكاد مضاء بواسطة مصابيح مشوهة لوجوههم الشبحية.

اعتقدت أنني سأنظم بسرعة للنساء القادمات منذ ثلاثة أشهر, لكنهم اعلموا بأن يجب اخضاعنا لقد بقيت هناك عشرة أيام ثم غادرنا هذه الأمكنة المقززة, والرطبة، باستقلال باخرة أقل حجما وأهمية من الأولى, من بعيد أبصرنا الباخرة الضخمة التي كنا نسير باتجاهها, وكنا كلما اقتربنا اعترانا انطباع هذه البناية الحجرية التي تصدمها الأمواج يائسة، ستبتلعنا تحت كتلتها الضخمة, شددت إلي ولدي منذ مغادرتنا الجزائر.

وصولا إلى برج لامالغ استقبلنا صراخ النسوة، ورائحة الرطوبة، النساء كان عليهن شحوب ما، وجوههن يأكلها اليأس والرطوبة, كن مرميات مع أولادهن داخل حجرة صغيرة تفتقد لأدنى شروط الكرامة الانسانية، لقد شعرنا أنه أمر مخجل أن ننزع عنهم ما ليس لهن، الأوبئة كانت تقلق رجالنا، كان لدينا وعي أننا لم نكن في مأمن، وخاصة بعد وفاة أول طفل, كان خوفنا من الموت أقل من كوننا سندفن في فرنسا. بضعة أيام بعدها علمنا أنه سيتم ترحيلنا مرة أخرى, ولقد رحلونا في الليل وأمرونا بضرورة التكتم، وبالكاد وصلنا الى قصر "بو" بكينا موت الطفلين, ثمانية أشهر بعد ذلك الى أمبواز, لوصولنا الى المكان الجديد تطلب الامر لستة أيام من التنقل باجتياز أراضي، البحر، وأنهار، اليأس كان كبيرا حين استنتجت عاجزة أن ابني علي محمد مصاب بمرض في الرأس، كان يرتعد ويبكي، طوال الطريق دعوت الله ليريحه, امرأة أخرى قاسمتني يأسي في موكب آخر، كانت حياة ابنها تتدهور بين يديها، طلبنا منهم التوقف قليلا لكنهم لم يكونوا يسمعوننا، انطفأ ابني بعد أيام من المعاناة حين بالكاد وصلنا إلى قصر أمبواز, حاولت اقناع والده بعدم دفنه بين

المسيحيين، لكن كلمته لم يعد لها تلك القوة التي كانت لها على أرصنا, في لحظة حمل الجسد نزعوه مني بقوة، ابني الذي أردت إبقاءه معي, أبوه وأعمامه هم الذين حفروا القبر، وفي اليوم الموالي للدفن لم أتمكن من مغادرة فراشي, الأم الأخرى عاشت نفس محنتي بعد بضعة أيام, ولدانا وجدا نفسهما نائمين جنبا إلى جنب في مقبرة البلدية، وفي الغد كل النساء استفقن مريضات, إنه الهلع في صفوف عدونا

لقد حكوا لي أن الموكب الجنائزي الذي كان محروسا بعشرات الفرسان وبحضور رئيس البلدية اجتاز المدينة ليصل الى المقبرة, هذا الحدث خلق تعاطفا بين السكان الذين تأثروا بالمشهد بينما آخرون رفضوا حضورنا في مقبرتهم.

هل استوعب عبد لقادر المأساة أم أنه فقد الأمل في رؤية المشرق يوما ما؟ لأنه ألح في الحصول على أرض تخصص لدفن موتانا، الأمر الذي كان له بسرعة، فقد كنا بالكاد قد أحيينا أربعينية موت أطفالنا.

,ذات صباح علمت رفقة الأم الأخرى الغارقة في الحداد، ان جسدي طفلينا، قد تم إخراجهما من القبر خفية ثم أعيد دفنهما في القصر قبل طلوع النهار، لقد رمينا على جسدينا خمرنا وحذرنا كنساء قد تتعرضن للنظرة الفضولية للعساكر, ومثل جثثت سرنا صامتين الى المقبرة، مع ألم أن نفاجأ في سيرنا هذا الموغل في الحداد

الأيام التي تلت أحسست تلك حركة النساء حولي، لقد أحاطوني برعايتهن، لكن لا شيء بإمكانه أن يقهر الموت، على الأقل هذا ما اعتقدت. ذات مساء، سهروا إلى جانبي طوال الليل، وأخيرا جاء الموت ليحررني. السعيد الذي أخذه الجنون توسل أخاه عبد القادر لكي لا يتركني في هذا البلد، لكنه هو أيضا فقد كل سلطته، مدير القصر ربما تحت وقع إحساسه بيأس الرجال، اعتقد أنه من ايد ان يقترح وضعي داخل تابوت من الزنك لكي يتمكنا من نقلي حيث يتم تحريرهم ,هكذا إذن تم دفني مثل مسيحية في اللحظة التي كان فيها اللحام يغلف عني هذه العلبة المستطيلة كانت أصوات الرجال مفزوعة من هذا الطقس الغريب، الذي ارتفعت راجية الاعلى يتعقب الغير متسامح من العساكر، لم يمر وقت قليل بعد موتي حتى لحقني آخر ابنائي إنه لم يتحمل اختفائي.

السعيد واخوته باستثناء عبد القادر كان مسموحا لهم العودة الى الجزائر, بعد رفض متعدد على الرغم من استعجالهم للعودة فقد اخذوا كل شيء معهم باستثناء العلبة التي تسجنني.

من يتذكر بعد اليوم بأن في عمقي حديقتي قصر أمبواز، على بعد بضعة أقدام تحت الأرض يوجد تابوت ينام فيه جسد شابة جزائرية ماتت في سن اثنين وعشرين سنة؟

صوت ثالث

لقد فقدنا العديد من الرفقاء في 1849م وكأن معنى الحياة كلها اجتمعت هذه السنة كان زمن الاعتقال قد أضحى غير محتمل, والبرد يضاعف من تدهور حالتنا الصحية , النساء أصبح لهن بشرة وجه ذابلة , لم يكن لدينا أي خبر عن العائلة أو البلد طلبات تحريرنا لا تصل أبدا ,لا احد يزورنا العملاء وحدهم يرافقوننا فقد كانوا يقومون بأعمال في القصر, السلطات قلقة بشأن السفينة التي تزداد هشاشة يوما عن يوم لكنها لا تفعل شيئا من اجل الترويح عنا, بل تتركنا نهبا نوبات جنوننا كأننا لقد علمنا ان الكوليرا و انفلونزا اجتاحت عاصمتهم والن الاوبئة تقترب من مجيئ المحامية كان قلقا كبيرا لقد طلبوا منا احترام بعض التعليمات الوقائية, جرائد الجهة اشاعت اننا نحن المسؤولون عن هذه الأمراض التي تم تكذيبها بسرعة .

الضباط المسؤولون على تزويدنا بالماء في القصر يشتكون من التبذير لأن الماء كان نادرا, لكنهم لا يفهمون أن وحده الماء يستطيع تطهير أجسادنا, أرواحنا، وهذه الأمكنة القذرة.

واخيرا تم تزويد القصر بالماء في شهر ماي وسط ارتياح كبير عم الجميع.

في شهر فيفري, الزهرة والدة عبد القادر متأثرة جدا بوفاة خيرة, تسقط في مرض شديد, كانت مرتعبة من فكرة الموت في فرنسا، إنها الفوضى في القصر.

أحد الخدم يموت فجأة إثر إصابته بالكوليرا، لقد أخذته في ثلاثة ساعات، في الغد كل نساء يستيقظن مريضات, وقد تم إحضار طبيب عسكري على وجه السرعة ليقدم تقريرا حول الوضعية, لقد شخص "كولورين".

في الحقيقة هو لم يكشف علينا فقط اعتمد في تشخيص على أوصاف الحالات التي قدمتها له الاخوات المسيحيات.

هذا الطبيب اقترح علينا تسخين الماء من أجل وضوئنا لأن الماء كان متجمدا, لكن أغلبيتنا رفضوا الفكرة لأن الوضوء يكون أقل قيمة إذا كان بالماء المغلي, لقد اقترح أيضا على السلطات السماح بنزهات للخدم والأطفال المتضررين نفسيا أكثر, ولقد أوصى أيضا بضرورة الاستحمام والغطس في نهر "لالوار" من اجل تحسين صحتهم لكن لأن السوء يأتي مرة واحدة فقد غرق الخادم سالم وقد تم العثور على جثته ساعتين بعدها على الشاطئ.

هذا العام كان شهر رمضان موافقا تماما لشهر جويلية, الحرارة كانت وعلى الرغم من منع الطبيب للبعض منا, فقد صمنا القلق اشتد خلال هذه الفترة, المدير تجاوزته الأحداث ولم يكن يدري ما يفعل, الخادمة فاطمة بنت موسى التي كانت صائمة كان مرضها يشتد, كانت ترفض إتباع الاقتراح الطبي, كان ذلك سلاحها الوحيد لمقاومة المستعمر, كما كانت تقول...

كنا قد اجتمعنا في الشرفة لرؤية هلال الإفطار, لقد رأيناه وأخطرنا الرجال, الذين لم يعيروا اهتماما لهذه الرؤية, وحده قرارهم كان المأخوذ بعين الاعتبار, وأخيرا تحققوا وأعلنوا عن عيد الفطر سيكون غدا, في هذا اليوم توفيت الخادمة فاطمة كانت تعرف بأنها ستموت, كانت تقول بانها كانت ميتة منذ زمن ,نحن الخادمات وخاصتا ابنائها عانينا كثيرا من السجن لأن شروط الحبس كانت بالنسبة لنا ..... منذ وصولنا شروط العمل صارت صعبة أكثر فأكثر جعلت بعض سادتنا عنيفين أكثر فأكثر ولحوحين.

ذات صباح رأينا واحدة منا تدخل جريا الى مكتب المدير والتصقت بذراعه ملتمسة منه عذرا عدم إرجاعها إلى سيدها الذي هو ليس شخصا آخر غير الأخ الأصغر لعبد القادر بن محي الدين, لقد عاملها معاملة سيئة في الوقت الذي كانت تعاني منه المرض, بينما كان سيدها يعتقد أنها كانت تدعي ذلك.

الخبر وصل إذن عبد القادر وقد أحزنه، لكن العلاقة الضدية في تلك اللحظة مع أخيه تجعل تدخله صعبا وأخيرا نجح في أن يقترح عليه بأن يحتفظ بالخادمة في عائلة خاصة الى غاية تماثلها لشفاء, بعد ذلك لها ان تعود لسيدها, نحن الخادمات, نولد متهيئات لتنفيذ أوامر أسيادنا دون أن نحتج, نحن نعرف قول نعم مطئطئين الرأس نحن لا نشتكي أبدا, أجسادنا وأجساد أطفالنا ينتمين أصالة لسيد ولصمت زوجته لا شيء نملكه غير الموسيقى المتوارثة عبر أجيال منذ أجدادنا الإفريقيين, هذه الموسيقى تزكي حفلاتهم وتحرر آلامنا.

لمت أثناء حبسنا الإذلال كان كبيرا مقارنتا بما حدث مع أسيادنا أو سيداتنا, لأجل هذا فموتنا يعني رفضنا الخضوع لهم, نحن نستطيع تقريبا شكرهم في النهاية لأنه للمرة الاولى استطعنا أن نقول لا لسادة الجدد لسادتنا الذين صاروا عبيدا.

في سبتمبر نفسيتنا كانت محبطة, الزهرة أم الأمير بدأت بالكاد تتماثل للشفاء لكن الفوضى كانت قد احتدت.

الشهر الموالي صراخ اخرجنا فجأة من نومنا العميق النار كانت تمكنت من ثياب الزهراء ابنت عبد القادر اخيه , كيف سنتمكن من معرفة الذي دار براسها ؟ الحبس ضاعف من هشاشتها النفسية.

امباركة زوجة عبد القادر الثالثة تعاني من الام في راسها منذ قدومها الى فرنسا ,الحميمية بين الزوجات لم تساهم في تحسين حالتها, المدير اقترح عليها حملها الى الجزائر لكن هذه الامة الشابة رفضة ليست لها عائلة هناك.

في نوفمبر حدث سعيد انسانا اخر أثناء ابن سعيد خطب ابنة عمه ابنة مصطفى كان عمرها اثنا عشر عاما, هذه المنحة من المتعة سرعان ما اختفت في نهاية العام,لان الخادمة كادت تموت مختنقة من دخان الحطب المستعمل لتدفئة الغرف, الطبيب طبق حصنين لإنقاذها في النهاية.

استمرت صحتنا في التدهور بدون أن يتغير شيء بالنسبة لنا كان يجب أن تموت امباركة لكي يتحول مصيرنا إلى قليل من الرحمة.

المصادر والمراجـع

1- Amel Chaouati: *Les Algériennes du château d'Amboise, suite de l'émir Abd el-Kader*, la Cheminante, Paris, 2013.

2- امبرتو إيكو: التّأويل بين السّيميائيّات والتّفكيكيّة، ترجمة: سعيد بن كراد، الطبعة الأولى، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2000.

3- نصر حامد أبوزيد: الإمام الشافعي وتأسيس الإيديلوجية الوسطية، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2007.

4- Castoriadis Cornélius: *L'institution imaginaire de la société*, éditions du Seuil, Paris, 1975.

5- Gaston Bachelard: L'air et les songes, José Corti, Paris, 1990.

6- Gilbert Durand: *Les structures anthropologiques de l'imaginaire*, Dunod, 11ème édition, Paris, 1992.

7- Michel Foucault. *L'archéologie du savoir*, Gallimard, 1969.